

الفصل الثاني

الحركات المناهضة للعولمة في أوروبا، وكيف يستفيد منها المسلمون

د. مولود عومر(*)

تقديم:

تضاعف في الأعوام الأخيرة عدد المؤتمرات والندوات والبحوث بشأن العولمة، وقد تناولت بالدراسة والتحليل جوانبها المختلفة. وكان التركيز في الغرب على الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية، والبيئية. بشقيها الإيجابي والسلبي. بينما شغلت أكثر العالم الإسلامي الآثار الثقافية السلبية المترتبة على العولمة. وتباينت المواقف في العالم الإسلامي في كيفية التعامل معها بين الرفض الصارم، والقبول التام، ولم يوجد إلى الآن طريق ثالث واضح المعالم^(١)؛ وذلك لعدة أسباب: لعل من أبرزها التباس مفهوم العولمة، وعدم اكتمال جميع عناصرها، وتعدد صورها، والخوف المفرط لدى كثير من المسلمين من كل ما يطرحه الفكر الغربي من تصورات، وأفكار جديدة.

نحن نؤمن بطريق ثالث؛ وذلك بالتفاعل المثمر مع ظاهرة ذات أبعاد كونية متعددة. لكن هل يمكن أن نحقق هذا الهدف إذا انغلقتنا على أنفسنا، واكتفينا بما عندنا من أفكار ووسائل وأدوات، ولم نستفد من النقاشات الكبرى في الغرب الذي يمثل مسقط العولمة، ونتعلم من كل الحركات المناهضة للعولمة المكرسة للهيمنة الغربية على العالم؟

(*) دكتوراه في التاريخ والحضارة، بجامعة الجزائر.

(١) يلخص الباحث المصري السيد ياسين الاتجاهات المختلفة السائدة في العالم العربي تجاه ظاهرة العولمة في الفقرة التالية: "هناك معركة كبرى أيديولوجية، وسياسية، واقتصادية، وثقافية تدور حول العولمة؛ هناك اتجاهات رافضة بالكامل، وهي اتجاهات تقف ضد مسار التاريخ، ولن يتاح لها النجاح. وهناك اتجاهات تقبل العولمة من دون تحفظات بوصفها لغة العصر القادم، وهي اتجاهات تتجاهل السلبيات الخطيرة لبعض جوانب العولمة. وهناك اتجاهات نقدية تحاول فهم القوانين الحاكمة للعولمة، وتدرك أن العولمة عملية تاريخية حقاً، ولكن ليس معنى ذلك التسليم بحتمة القيم التي تقوم عليها في الوقت الراهن، والتي تميل في الواقع إلى إعادة إنتاج نظام الهيمنة القديم، وتقديمه في صورة جديدة. السيد ياسين. في مفهوم العولمة. المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢٨، فبراير ١٩٩٨م، ص ١٢.

إن أي تفكير سليم طموح للارتقاء إلى العالمية يتواصل بالضرورة مع التجارب والأفكار الحية، ويتجاوز الحدود الضيقة لعالم أفكاره، وهذا ما نريده للفكر الإسلامي. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا بقوة هو: هل يمكن لتيار معارض -وغالبا متطرف- في الغرب أن يشكل مصدر فكر و طاقة تعبوية لتيار معتدل أو وسطي يسعى إلى أن يشق طريقاً ثالثاً في العالم الإسلامي؟

إن دراسة جادة لحركة المعارضة للعولمة في أوروبا تقوم على الإدراك العميق لحقيقتها، ومضمون خطاباتها، ولا تكتفي بالمشاهد الظاهرية التي تبثها وسائل الإعلام. وهي لا تعبر دائما بصدق عن حقيقة القضية وعمقها. يهنا أن نعرف عن هذه الحركة ما تطرحه من حلول خاصة في مجالات الثقافة والدين، ومدى قربها وبعدها من أطروحات المسلمين وخياراتهم الإستراتيجية. والملفت للانتباه في هذه الحركة وجود جمعيات وشخصيات تحمل قناعاً يخفي وراءه أفكاراً جديدة لمشاريع قديمة تبث أفكاراً فلسفية وثقافية أخطر من العولمة نفسها التي تزحف بوجه مكشوف؛ ذلك أن العولمة همشت الأخلاق والدين؛ لأنها تسعى -بالدرجة الأولى- لخلق عقلية مستهلكة؛ حتى يتحول كل إنسان إلى مستهلك، بينما تقدم بعض هذه المنظمات أفكاراً يسارية جديدة تستهدف استبعاد الدين عن حياة الناس، وتوطين الثقافة الغربية في العالم بوسائل أخرى، وبأساليب إنسانية مقنعة.

إذا عرفنا أن هذه الحركات المناهضة الناشطة في أوروبا تتعارض أحياناً مع توجهاتنا الفكرية والعقائدية، ولا تسير دائماً في نفس المسارات التي رسمناها، وتعطل بعض الطموحات التي نسعى لتحقيقها؛ فهل نهجرها هي أيضاً، أم نقرب منها ونتعاون فيما يخدم مصالحنا بشكل خاص ومصالح الإنسانية بشكل عام، ونتسامح فيما يختلف حوله؟

تسعى هذه الورقة للاستفادة من تجارب الحركة المناهضة للعولمة في أوروبا؛ من أجل دعم صف الطريق الثالث الذي يحاول أن يقوم في العالم الإسلامي. ولا يتحقق ذلك إلا إذا عرف المسلمون كيف يستفيدون من ديناميكيتهما، وأساليب عملها الفعالة، والإشكاليات التي تطرحها، دون أن يلتزموا بالحلول التي تقدمها. وتهدف هذه الورقة -أيضاً- للإسهام في وضع أسس أخرى لصرح العولمة الذي لم يكتمل بعد، وترشيد مسار هذه الظاهرة الكونية نحو الأخذ بقيم عليا نؤمن بها، والتي يفرض علينا واجب الشهود الحضاري نشرها في مختلف الفضاءات المفتوحة.

أولاً: الظروف المساعدة على قيام الحركة المناهضة للعولمة في أوروبا

تصرّ مجموعة من الباحثين على أن العولمة ظاهرة قديمة وإن اختلفت أشكالها وموجاتها. وحدد لها الباحث السويدي جوران توربون^(١) ستّ موجات من العولمة عبر العصور، ولكن الناظر فيها يدرك مدى معاناة الكاتب في تحديد مفاصل هذه الموجات و من أبرز المشاهد التي ذكرها وبنى على ضوئها نظريته:

- انتشار الأديان العالمية، وقيام المدينيات العابرة للقارات.
 - الغزوات الاستعمارية الأوروبية، والاكتشافات الجغرافية.
 - التنافس الاستعماري، والحروب الأوروبية.
 - الحربان العالميتان الأولى والثانية.
 - الحرب الباردة بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الليبرالي.
 - النظام العالم الجديد، وبداية القرن الحادي والعشرين.
- كان للتعبئة من أجل معارضة النظام العالمي سجلاً كبيراً في تاريخ أوروبا^(٢)؛ فقد وجدت العولمة - في كل مرة - مقاومة تتناسب مع حجمها وشكلها الجديد. أكدت على هذا المعنى أعمال الملتقى الدولي المنعقد في باريس في ٣ و ٤ حزيران ٢٠٠٥ م حول العولمات الثلاث، والذي نظمه مركز تاريخ العلاقات الدولية بجامعة السوربون بالتعاون مع جامعة جنيف. وقدم المحاضرون ورقات بحثية تناولت التطور التاريخي للعولمة مركزة على أحداث وقعت في النصف الأول من القرن العشرين. فالمنظمة العالمية 'les Brigades internationales' - مثلاً - التي ظهرت في الثلاثينيات من القرن العشرين، وقاومت إلى جانب الجمهوريين الإسبانين في الحرب الأهلية الإسبانية تمثل - صورة من الحركة المناهضة للعولمة^(٣).
- والسؤال الذي يتبادر للذهن: ما الأحوال أو العوامل التي ساعدت على قيام هذه الحركة في أوروبا بالذات؟

(١) توربون، جوران. العولمات: الأبعاد، الموجات التاريخية، المؤثرات الإقليمية، وتوجيه الحكم المعياري. الثقافة

العالمية، الكويت، العدد ١٠٦، مايو ٢٠٠١ م، ص ١٣-٢١.

(2) Peter Coulmas. Les citoyens du monde. Paris, Albin Michel, 1995 ; Philippe Zarifian. L'émergence d'un peuple monde. Paris, PUF, 1999 ; Armand Mattelart. Histoire de l'utopie planétaire. Paris, la Découverte, 1999.

(3) Relations internationales. Paris-Geneve, n° 123, automne 2005.

نستطيع القول : إن المساعد على ذلك عدة عوامل، أهمها:

أ- انتشار الحرية والديمقراطية في المجتمعات الغربية:

تمتعت المجتمعات الأوروبية بمساحة شاسعة من حرية التعبير وممارسة الديمقراطية سمحت ببروز أحزاب سياسية معارضة أنشأت صحافة قوية شكلت السلطة الرابعة. وساعدت أيضاً هذه الأحوال على ظهور جمعيات مدنية، ومنظمات شعبية، وحركات نقابية، تمارس نشاطها في مختلف الفضاءات والمجالات. ويتجاوز نشاط مجموعة منها الإطار المحلي؛ بحيث تسهم في نشاطات إقليمية ودولية عندما تشعر أن مجموعة من القضايا الحساسة لا يمكن لها أن تحل إلا في إطار إقليمي أو دولي. فظهرت نتيجة لذلك منظمات وجمعيات في فرنسا، وسويسرا، وإيطاليا، وبريطانيا، تملك فروعاً في العديد من الدول، وتستضيفها في أوروبا في مناسبات كثيرة لتنظيم تظاهرات وحلقات تكوينية وتدريبية.

وقد وجدت الحركة العالمية المناهضة للعولمة مساندة قوية من هذه المنظمات الشعبية الأوروبية من حيث الدعم الأيديولوجي، والإعلامي، والمادي.

ب- الخوف المتزايد من جراء أضرار العولمة:

يسود اليوم في أوروبا الخوف من الزحف الشرس للعولمة، ويدل على ذلك رواج أدبيات الفكر المتشائم من المستقبل الأوروبي، ومن أشهرها كتاب: 'فرنسا التي تسقط' لنيكولاي بافيري وهل تزول فرنسا؟ لجون كلود بارو، و'الرعب الاقتصادي' لفيفيان فورستير⁽¹⁾. وساعد على رواج فكرة الانحطاط⁽²⁾ (Décadence) مجموعة من المشكلات الاجتماعية، وعلى رأسها البطالة التي فشلت الحكومات الأوروبية المتعاقبة في محاربتها. وكان أخطر اعتراف بهذه الحقيقة المرة هو للرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران الذي قال في حديث للقناة الثانية الفرنسية: 'لقد جربنا كل الحلول الممكنة، ولكننا فشلنا في القضاء على البطالة'.

وقد دفع الخوف من العولمة بعضهم إلى تشكيل جمعيات لتعبر عن مخاوفها من هذه الظاهرة، في حين استغل بعض آخر هذا الخوف للتعبير عن رفضه للعولمة، ووظفه في خطابه لتعبئة

(1) Nicolas Baverez. La France qui tombe. Paris, Perrin, 2003. Jean-Claude Barreau. La France va-t-elle disparaître?. Viviane Forrester. L'horreur économique. Paris, livre de poche, 1995.

(2) Alain Duhamel. La République, l'identité et la souveraineté de la France. Le Débat, Paris, n° 134, mars -avril 2005, p 42-51.

الناقمين، والدخول في معركة ضد العولمة وهدم رموزها؛ وتشكلت نتيجة لذلك مجموعة من الأحزاب المتطرفة والجمعيات القومية التي ترى أن العولمة هي غزو أمريكي من جهة، وغزو من الأجانب الذين استفادوا من سياسة حق التنقل وسهولته للزحف على أوروبا وتهديد الثقافة الأوروبية، من جهة ثانية. وتصر هذه الأحزاب المتطرفة، على ضرورة إحياء الثقافات الوطنية، والرموز القومية، والتشديد على قوانين الهجرة، وتبادل السلع.

ج- نقد العولمة من داخل الولايات المتحدة الأمريكية:

تعالّت الأصوات من داخل الولايات المتحدة الأمريكية تنتقد التوجهات الحالية للعولمة، وتبين أنه ليس هنالك دولة في العالم لم تتضرر منها. وقدم العديد من العلماء والمفكرين الأمريكيين صوراً قائمة عن الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية للمجتمع الأمريكي الذي تسعى العولمة إلى تلميحه وتنميته عن طريق تصديره إلى العالم. وتمثل هذه المعارضة الأمريكية مصدر إلهام وحافزاً للأوروبيين لمناهضة الهيمنة الأمريكية التي غطت نفسها بقناع العولمة.

يرى الكاتب الأمريكي دفيد كورتن (David C.Korten) في كتابه عندما تحكم الشركات العالم (When Corporations rule the world) أن نفس السياسات التي كانت الولايات المتحدة تبناها، وتدافع عنها، وتروج لها في دول العالم قد خلقت عالماً ثالثاً ضمن حدودها نفسها، فيما تزايدت الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وتم الاعتماد على الديون الخارجية؛ فنيو يورك -مثلاً- بوصفها مركزاً عالمياً رئيساً للنموذج الاقتصادي -تبدو مع ذلك بكثير من مزايا دول العالم الثالث المعاصر، والجيش التي تجوب الشوارع في المدن من العاطلين والمشردين، مقارنة مع أنماط الحياة الباذخة المترفة للأغنياء والمشهورين جنباً إلى جنب مع حكومات مشلولة لا حول ولا قوة لها، وعنف لا يميز بين واحد وآخر^(١).

(١) زلوم، عبدالحفي. نذر العولمة. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠٠٠م، ص ٣٧.

ولاحظ كذلك المفكر بول كنيدي مدى تزايد الفقر في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها؛ بحيث إن مؤسسة أوكسفام أمريكا الشهيرة التي تقدم العون للبلدان النامية بدأت تركز جهودها على الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب البلدان النامية^(١).

وقد ازدادت حدة نقد العولمة داخل الولايات المتحدة الأمريكية في ظل حكم جورج بوش؛ إذ عرفت العولمة الاقتصادية ذروتها. وعبرت الأصوات الرافضة لها في مناسبات عديدة أثرت في بعض الأحيان في القلوب الغليظة، ودفعت شخصاً كـ (بيل غيتس) صاحب شركة مايكروسوفت العملاقة، وأحد رموز العولمة- إلى أن يعترف- على هامش المنتدى الاقتصادي العالمي بنيويورك- أن شروط التجارة الدولية تأتي لمصلحة العالم الغني؛ مما يوجد تفاوتاً يغذي الاستياء^(٢).

ثانياً: مناهضة العولمة: عصيان مدني أم كفاح اجتماعي ومدني؟

معركة المصطلحات والمفاهيم قائمة بين مناصري العولمة ومعارضيهما والنقاش يتجه نحو السؤال التالي: هل ما تقوم به هذه الحركات المناهضة للعولمة عصيان مدني يعاقب عليه القانون أم هو شكل جديد للنضال السياسي، أو الكفاح الاجتماعي، أو العمل النقابي يحمي القانون ولا يعاقب عليه؟

يجيب نشطاء الحركة المضادة للعولمة: إن هذه الممارسات هي من صلب النضال، ومن واجب المثقفين ورسالتهم التغييرية أن يستعينوا بكل الوسائل؛ لإيصال أصواتهم، ولتحقيق أهدافهم. فهم يعدون العصيان المدني أكثر من حق فهو واجب. ومشاهد كثيرة نضعها في أحوال عادية في قالب العصيان المدني يعاقب عليها القانون مثل: احتلال معمل لمنع عمال النقل الذين أرسلهم رب العمل لتحميل الآلات إلى بلاد أخرى- قلع النباتات المعدلة جينياً؛ لحماية الصحة العامة- عقد قران مثلي الجنس- الحضور بصمت داخل مجلس- أو الاعتصام سلمياً على الرصيف- تمثل في نظرهم أفعالاً سياسية^(٣). وقد نشر (جوزي بوفيه) أحد أشهر مناهضي العولمة كتاباً بعنوان "من أجل عصيان مدني" (Pour la désobéissance civique) قدم فيه أفكاره وتجربته في هذا الموضوع.

(١) كنيدي، بول. العالم في القرن الحادي والعشرين: رؤية مستقبلية. بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٩٩٦م، ص ١٤٤.

(٢) كوثراني، وجيه. هويات فائضة.. مواطنة منقوصة. بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٤م، ص ٨٩.

(٣) باكو، تييري. "العصيان المدني: حق أم واجب؟"، العالم الدبلوماسي، كانون الثاني ٢٠٠٥م.

الحركات المناهضة للعولمة في أوروبا، وكيف يستفيد منها المسلمون

ألا يفتح هذا الباب الفوضى، ومن ثمّ عدم التحكم في الحركة المناهضة للعولمة التي تقوم على السلم والإقناع لكسب أنصار في كل فئات المجتمعات الغربية؟ ألا تخلق لنفسها أعداءً من الرأي العام الغربي الذي يؤمن بالديمقراطية، ويعدّ كل أشكال العنف منافياً لهذه القيمة؟ وهذه من أهم التهم الموجهة لحركة العولمة من طرف خصومها وأعدائها؛ بحيث يتهمونها بمحاولة تعويض ضعفها الأيديولوجي، وفشلها في تقديم البدائل للعولمة؛ فهي تحارب الغنى، وتكرس الفقر والبؤس، وتحارب الديمقراطية، وتكرس ديكتاتورية الشارع، والمظاهرات، وتشجع العصيان المدني، وتهدد الأمن والاستقرار.

يعدّ خصوم هذه المنظمات أن هذه الحركة تمثل تحولاً خطيراً في السلطة نحو مجموعات غير منتخبة، ولا تخضع للمحاسبة من أي جهة، فهي بذلك لا تمثل إلا نفسها، وليس لها أية شرعية ما دامت غير منتخبة شعبياً. وهذا الخطاب جاء تجسيدا للإعلان جنيف للأعمال في سبتمبر ١٩٩٨م (Declaration Geneva Business) المنبثق عن اللقاء الذي شارك فيه رئيس غرفة التجارة العالمية في ذلك الحين (هلموت ماوتشر)، والأمين العام للأمم المتحدة. وألح هذا الإعلان على عدم الرضوخ لهذه المنظمات، والتفاوض والتعامل فقط مع النقابات، ومصالح المستهلكين، وبقية المجموعات التي تتصف بالمسؤولية، والمصادقية، والشفافية، وتخضع للمحاسبة، وفي النتيجة تحظى بالاحترام.

ثالثاً: التحديات الكبرى للعولمة في خطاب المناهضين لها

وجدت حركة العولمة فضاءات للحركة، وظروفاً للنضال داخل المجتمعات الأوروبية لعدة أسباب أشرنا إليها من قبل، فما هي التحديات التي تخوف الإنسان الغربي وتدفعه لمقاومة العولمة في مختلف أشكالها؟

نستطيع القول: إن هذه التحديات عديدة، وأهمها:

أ- تهديد الهوية الثقافية للشعوب:

إن الثقافة التي تصدرها الولايات المتحدة الأمريكية هي بالدرجة الأولى ثقافة هوليوود، والعنف، والجنس، ولا تعكس إلا المستوى المتدني من الأنشطة الثقافية الأمريكية، تركت الولايات المتحدة إلى هوليوود، وإلى وكالات الإعلان في نيويورك لتقرر ما هي المنتجات الثقافية الأكثر قابلية للتسويق في العالم. أما الثقافة الراقية فإنها محدودة ومحصورة في الدوائر الفكرية؛

ذلك أن للثقافة المتدنية المستوى سوقاً أوسع كثيراً من سوق الثقافة الراقية^(١). وهذا ما يثير قلق الشعوب الأوروبية، ويخوف المفكرين الأوروبيين. يجدد العالم الاجتماعي الفرنسي آلان تورين (Alain Touraine) في كتابه القيم كيف نخرج من الليبرالية؟^(٢) (Comment sortir du libéralisme?) الفرق الشاسع بين السوق المالية العالمية والمعولة، وحركات الهوية الكثيرة التي تبرز في هذه السوق. هناك ثقب أسود كبير، ويمكن أن يسقط في هذا الثقب كل من: الإرادة العامة، والأمة، والدولة، والقيم، والأخلاق العمومية، والعلاقات بين الأفراد؛ أي باختصار: المجتمع بأسره. ويضيف في السياق نفسه المفكر السويسري (جان زيغلير): 'نحن اليوم في وضع تنكسر فيه فترة تاريخية، وينشأ نوع جديد من المجتمعات سوف يسود فيها - وبكل بساطة - قانون الغاب. نحن في فترة قطيعة (إيستمولوجية)؛ لأن القيم التي تقوم عليها إمبراطوريات الرأسمال المالي متنافية تماماً مع تلك القيم التي عرفت في عصر الأنوار'^(٣).

تقوم العولة بتصدير القيم الأمريكية، وتفرضها بقوة على شعوب العالم. كما يقوم بذلك أحد رموز العولة Goerges Soros بمساندة الدول الأوروبية الشرقية من التخلص من روافد الشيوعية؛ بتدعيم بعض مشاريع تصب في اتجاه العولة بتمويل جامعات حرة في براغ، وبودابست، مهمتها ترسيخ الحكم الدستوري والديمقراطي في هذه البلاد^(٣). فكيف يمكن لهذه المؤسسات والأجيال المثقفة المتخرجة منها أن تنتقد العولة التي تمول نفقاتها وتسير شؤونها؟

ب- ازدياد الفجوة بين الأغنياء والفقراء في العالم:

تؤكد كثير من الدراسات الاقتصادية والاجتماعية على ازدياد الفجوة بين الأغنياء والفقراء في العالم، بما فيه العالم الغربي. ولوحظ وجود شبه إجماع بين أغنياء العالم على تسيير شؤون العالم، وتحديد مساراته الاقتصادية دون حساب أو رقيب، فالحدود لم تعد -إذن- جغرافية، ولكن مادية. إن فئة أو طبقة الواحد بالمثل تسيطر على مقدرات القوى في كافة الأقطار مقابل

(١) سالم، بول. "الولايات المتحدة والعولة". الرباط، فكر ونقد، العدد ٧، ١٩٩٨م، ص ٨٣.

(٢) زيغلير، جان. "عولة الأسواق المالية: من هم الأسياد الجدد؟ من هم الضحايا؟ انتقالية واستشفاف، المعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة، العدد ١، ٢٠٠٤م، ص ١٣.

(٣) باربار، بنجامين. "عالم ماك. المواجهة بين التأقلم والعولة". المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨، ترجمة. أحمد عمود، ص ٢٧٣.

الحركات المناهضة للعولمة في أوروبا، وكيف يستفيد منها المسلمون

٩٩ الباقيين من الشعب. إن ولاء الطبقة المذكورة ليس ولاء وطنياً، ولكنه ولاء خارج حدود بلدانهم. إن طبقة الواحد بالمتة في الباكستان أو الصين لديها مصالح وثيقة مع نظيرتها في الولايات المتحدة أو ألمانيا أكثر من الروابط مع بقية شعبهم^(١).

ويصر المفكران البلجيكيان (فرانسوا هوتار، وفرانسوا بولي) على ضرورة تشكيل منظمة دافوس أخرى سميها الدافوس الآخر، أو عولمة المقاومات والكفاح^(٢)؛ للتصدي لهذه الشركات الكبرى العابرة للقارات، والعازلة للشعوب، والمحتكرة للثروات.

ج- تقليص صلاحيات الدولة، أو نهاية سيادة الدولة:

تثار كثيراً الإشكالية المهمة الآتية التي تفتح مجالاً خصباً للنقاش والحوار: هل ستؤدي العولمة إلى نهاية سيادة الدولة؟ يجيب بيير بيتجرو وزير التجارة الدولية الكندي بأن العولمة تُتجاهل الحدود السياسية، وتدمج معها الساحات الاقتصادية؛ وهكذا تنشأ على هامش نطاقات مسؤولية الدولة قوة جديدة متنفذة، لا اسم لها، ولا وطن، ولكنها رهبة^(٣). ويوضح هذا الكلام أكثر الكاتب الياباني كينشي أوهماي في كتابه المعنون قيام دولة الإقليم؛ فهو يعدّ الدولة المعاصرة إطاراً غير مناسب للنشاط الاقتصادي والمالي، وأن العالم سوف يشهد نشأة الدولة الإقليم؛ التي تحددها علاقات السوق العالمية للسلع والخدمات، وتدفقات الأموال والثروات، وتمثل مناطق إقتصادية طبيعية تتخطى الحدود السياسية القائمة^(٤).

إن كثيراً من الشعوب الأوروبية تتمسك بالديمقراطية المحلية، وترفض أن يسلب حقها في اختيار ممثليها الشرعيين، ومنعها في المشاركة في تحديد البرامج والمشاريع، والكلمة في اتخاذ القرارات. إن أي تحويل للسيادة إلى مجالس إدارة الشركات الكبرى والمنتديات الاقتصادية العالمية تهديد مباشر وقضاء نهائي على الديمقراطية التي يحرص عليها الأوروبيون ويعصّون عليها بالنواجذ.

(١) زلوم، نذر العولمة، ص ٤٢.

(2) François Houtart, François Polet. L'autre Davos. Mondialisation des résistances et des luttes. Paris, L'Harmattan, 1999.

(٣) بيتجرو، بيير. مستقبل السياسة. الأصول الأوروبية والحدثة كشرط عالمي. الثقافة العالمية، العدد ١٠٦، مايو ٢٠٠١م، ص ٤٩.

(٤) هلال، علي الدين. تحديات العولمة والجوانب الثقافية للتححرر. الملتقى الدولي حول إشكالية التحرر والتحديات الدولية الراهنة. الجزائر، ٦-٨ فبراير ٢٠٠٥م، ص ٤.

رابعاً: مشاهد من الحركة المناهضة للعولمة

تشكل الحركة المناهضة للعولمة من مجموعة المثقفين، والجمعيات، والمنظمات، وتحرك في اتجاهات مختلفة، وتستغل كل الفضاءات، وتوظف وسائل متعددة للتعبير عن آرائها وأفكارها، ورفضها للواقع الذي تريد أن تفرضه العولمة على الدول والشعوب.

أ- المثقفون:

يصر كثير من المثقفين والمفكرين الأوروبيين على خطورة العولمة على الثقافة الأوروبية. وقد بين (جان بيير فارنيه) أستاذ الأنثروبولوجية بجامعة باريس خطورة العولمة على الثقافة الأوروبية قائلاً: إذا كانت ثقافات التقاليد مهددة من قبل ثقافات أقوى منها، أفليست الثقافات الصناعية الأوروبية مهددة كذلك، وخاصة من لدن القوة الأمريكية العليا؟ الواقع أن قطاعات برمتها من الصناعات الثقافية، في البلدان الغنية نفسها، توجد في خطر. ينطبق هذا على المنتجات المتعددة الوسائل، وعلى التلفاز، والسينما، والكتاب في أوروبا التي تحس -خطأً أو صواباً- بمنافسة الشركات الأمريكية، وفي مواجهة هذه التهديدات، طالبت فرنسا بحقوقها في الاستثناء الثقافي... وفي سنة ١٩٩٣م كسبت فرنسا سحب الوسائل السمعية البصرية من مفاوضات القات باسم الاستثناء الثقافي. ويطمح القادة السياسيون الفرنسيون، على اختلاف مشاربهم، إلى إقامة سياسة أوروبية مشتركة؛ بهدف إخراج الصناعات الثقافية من اتفاقيات التبادل الحر التي تم التفاوض بشأنها في إطار المنظمة العالمية للتجارة^(١).

كتب الفرنسي (برنار كاسن) مقالاً في جريدة العالم الدبلوماسية (Le Monde diplomatique). بعنوان: السراب الأيديولوجي في مفهوم الإنكليزية بوصفها لغة تواصل دولي. عالم متعدد اللغات تفاعلياً لديكتاتورية الإنكليزية^(٢). ويؤكد أن عملية فرض تعليم الإنكليزية في فرنسا أو في أي بلد آخر من الاتحاد الأوروبي - قرار سياسي بامتياز، لا علاقة له بحاجات التواصل، ولا معنى له إلا من ضمن رؤية لمستقبل أوروبا والعالم، وخصوصاً العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية. فالقوة الإمبراطورية الأمريكية التي تعطي الدفع للعولمة (النيلولبرالية)، وتهندسها

(١) فارني، جان بيير. 'عولمة الثقافة وأزمة الديمقراطية'. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣م، ترجمة عبد الجليل الأزدي، ص ١٣١-١٣٢.

(٢) كاسن، برنار. السراب الأيديولوجي في مفهوم الإنكليزية كلغة تواصل دولي. عالم متعدد اللغات تفاعلياً لديكتاتورية الإنكليزية. العالم الدبلوماسي، يناير ٢٠٠٥م.

لمصلحتها، لا تركز فقط على عوامل مادية مثل القدرات العسكرية والعلمية، وإنتاج البضائع، والخدمات، والسيطرة على حركة الطاقة والمال... إلخ فهي تحوز -أيضاً- الهيمنة على العقول، أي: المراجع والإشارات الثقافية، وفي الأخص الإشارات اللغوية؛ فاللغة الإنكليزية قائمة بالتالي وسط نظام شامل تلعب فيه دوراً مماثلاً لدور الدولار في النظام النقدي العالمي. ويتهم الكاتب المدافعين عن اللغة الإنكليزية بـ 'الحزب الأميركي المتجاوز للحدود، للانصياع إلى لغة الأسياد، وما تعبر عنه من مفاهيم وما تنقله من رؤية للعالم'.

لقد بدأت مؤخراً أصوات داخل فرنسا نفسها تطالب بإعادة النظر في مسألة الاستثناء الثقافي، والدعوة إلى التعددية الثقافية داخل المجتمع الفرنسي؛ فصدر مؤخراً كتابٌ لثلاثة مفكرين فرنسيين من اليمين واليسار يحمل عنوانه دلالة قوية، وهو 'نهاية الاستثناء الثقافي الفرنسي' ^(١)، كما بينت الباحثة مونيكا دانيو (Monique Dagnaud) أن الاستثناء الثقافي الفرنسي - خاصة في ميدان السعي البصري - قضية سياسية أكثر منها ثقافية. في عام ٢٠٠٢م أنتجت فرنسا ١٦٠ فيلماً، ولم يشاهد نصفها إلا ٢٥٠٠٠٠ متفرج في قاعات السينما ^(٢)، وهذا رقم قليل مقارنة مع الأفلام الأمريكية.

وإذا عدنا إلى الأرقام فإننا نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية تصدر إلى السوق الأوروبية المشتركة بقيمة ١٨ مليار دولار من المتوجات السينمائية والتلفزيونية وأفلام الفيديو سنة ١٩٩٣م. ويشير الباحث الفرنسي جاك شوميناد (Jacques Cheminade) إلى أن من أصل ٢٥٠ ألف ساعة بث في أوروبا تنتج مجموعة دول الإثني عشر (سابقاً) ٢٥ ألف ساعة فقط. أما حصة سوق السينما الفرنسية في الولايات المتحدة الأمريكية فلا تتجاوز ٥٪، بينما حصة سوق الفيلم الأمريكي في فرنسا تصل إلى ٦٠٪، وتصبح نسبة العائدات ١٢٠ مقابل واحد فقط.

في عام ١٩٩٨م أصدر في ألمانيا (هانس بيتر مارتين، وهارالد شومان) كتاباً بعنوان 'فخ العمولة'. الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، وتمت طباعته ٩ مرات في عام واحد. لقد قدم الباحثان العمولة في صورة 'فخ ومصيدة للقبض على العالم، والسيطرة عليه، وتحويله إلى عالم

(1) Jacques Julliard, Pierre Nora et Pierre Rosanvallon, La Fin de l'exception française, Calmann-Lévy et Fondation Saint-Simon, Paris, 1988; Alain Minc.

La Grande Illusion, Grasset, Paris, 1989.

(2) Monique Dagnaud. Exception culturelle: une politique peut en cacher une autre. Le Débat, n°134, mars-avril 2005, p.115.

يسوده التدهور الاقتصادي والاجتماعي، والتدمير البيئي، والانحطاط الثقافي، في ضوء حضارة التنميط التي تسعى العولة لفرضها^(١).

من أهم الصحف والمجلات التي اهتمت بدراسة العولة ونقدتها في جميع جوانبها والمتفتحة على كل النخب من الدول المختلفة من العالم-نذكر هنا مجلة البحوث الدولية (Recherches internationales)، والبدائل الاقتصادية (Alternatives économiques)، وبوليتيس (Politis)، والفكر (Pensée)، وماريان (Marianne)، والعالم الدبلوماسي (Le monde diplomatique).

ويستخدم المثقفون المعارضون للعولة شبكات الإنترنت للتعبير عن أفكارهم، وإجراء حوارات حية ومباشرة مع السائلين. ومن أبرز هذه المواقع نشير إلى موقع <http://penseeunique.com>، وهو موقع للمناهضين للفكر الأحادي الذي يسهم فيه العديد من المثقفين الأوروبيين على اختلاف انتماءاتهم السياسية والأيدولوجية والمهنية. ومن أبرز المشاركين فيه: Jean-François Kahn, Viviane Forrester, Alexandre Del Valle, Jose Bove, Noam Chomsky, Alain Finkielkraut, Jean-Claude Barreau, Paul-Marie Coûteaux....

ويتبادل مثقفون آخرون أفكارهم وآراءهم على مواقع أخرى من شبكة الانترنت، ولعل من أبرزها: www.espaces-marx.org، www.forum-alternatives.net ومن بين الشخصيات البارزة التي تسهم فيها: Michel Rogalski, Serge Halimi, Pierre Bourdieu, François Houtart.

ولا بد أن نشير إلى نقطة أساسية، وهي أن من حين لآخر يثور بعض مناصري العولة لأسباب مختلفة، ويقدم لها انتقادات حادة لا تقل خطورة عن انتقادات معارضيها. وسنذكر هنا نموذجين، هما: (جون جراي) أستاذ الاقتصاد بجامعة أكسفورد والمستشار الاقتصادي لرئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر، و(جوزيف ستيجليتز) حامل جائزة نوبل للاقتصاد.

أما الأول فقد نشر كتاباً بعنوان "الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية"، تراجع عن مواقفه المؤيدة للعولة، ويؤكد أن عولة الاقتصاد وحرية التجارة ظاهرتان من صنع الدول القوية

(١) بيتر وشومان. "فخ العولة. الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية". نقلاً عن الدكتور محمد الميحي. "العولة وفخاها: حتى لا تتحول الرأسمالية إلى حيوان شر". العربي، الكويت، العدد ٤٨٤، مارس ١٩٩٩. ص ٢٠.

الحركات المناهضة للعملة في أوروبا، وكيف يستفيد منها المسلمون

لخدمة مصالحها، ودعا إلى إعادة بناء النظام العالمي على أسس ديمقراطية، تحفظ سيادة الشعوب الفقيرة وحقوقها، ولا تدع زمام الاقتصاد العالمي رهينة تعبت بها أصابع الأغنياء والشركات العملاقة في الدول المتقدمة^(١).

وأما العالم الثاني جوزيف ستيفلitzer فهو -أيضاً- ينتقد بشدة توجهات العملة، ويدعو إلى عملة ذات وجه إنساني. ودعوته جاءت نتيجة احتكاكه القوي بمراكز القرار السياسي والاقتصادي العالمي. يقول: 'وإذا بقينا قاصرين عن استغلال العبر من أخطائنا، وإذا ظلت العملة تدار كما في الماضي؛ فهي لن تولد النمو وحسب، بل إنها ستظل تنشر الفقر وعدم الاستقرار. وإذا لم يكن هناك إصلاح؛ فإن الصدمة الارتدادية التي بدأت ستتعاظم، ويتعاظم معها العداء للعملة^(٢)'. ويصف الدول الغربية بالنفاق في تعاملها مع دول العالم الثالث، وهو شاهد على ذلك من المواقع الدولية والاستراتيجية التي عمل فيها، ويقر أنه فشل في إقناع أصحاب القرار السياسي في تغيير سلوكهم الجشع نحو الدول الفقيرة. ويقدم الأستاذ (جوزيف ستيفلitzer) أنموذجاً عن نفاق حماة العملة فيقول: 'إن أحد أسباب الهجوم على العملة أنها تبدو مدمرة للقيم التقليدية ... والنمو الاقتصادي ... سيؤدي إلى انتشار قيام المدن، الذي سينسف أسس المجتمعات الريفية التقليدية. ولسوء الطالع، فإن المسؤولين عن العملة الذين يشيدون بجوانبها الإيجابية لا يقدرون كما يجب -في غالب الأحيان، حتى الآن- ما فيها من سلبيات: الخطر الذي تمثله على الهوية، وعلى القيم الثقافية. وما يزيد من غرابة الأمر كون المعنيين في داخل البلدان المتطورة بالذات واعين لهذا النوع من المشكلات. فإن أوروبا، حينما تدافع عن سياستها الزراعية، لا تتكلم فقط عن مصالح خاصة، بل -أيضاً- عن الحرص على صيانة التقاليد في أريافها^(٣)'.

(١) نافع، إبراهيم. انفجار سبتمبر بين العملة والأمركة. الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، ص ١٢٩.

(٢) ستيفلitzer، جوزيف. 'نحيات العملة'. بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٣م، ترجمة. ميشال كرم، ص ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٧.

ب- المنظمات والجمعيات:

يصف لنا (نيكولاس غايات) المنظمات التي حضرت إلى سياتل في ٣٠ نوفمبر ١٩٩٩م، سيفسائها القادمة من أنحاء العالم، وهذه التركيبة التي تتكرر في المناسبات الأخرى: كانت هذه المجموعات تمثل مصالح شديدة التنوع، نظر البيثيون إلى المنظمة (منظمة التجارة العالمية) كقوة طليعية خلف تغير المناخ العالمي، والالتفاف حول المعايير البيئية، وخاصة في الدول السائرة على طريق النمو. اتهم مؤيدو العمال المنظمة باستغلال عمال الأجور المتدنية في عدد من الدول ... احتجت مجموعات التنمية حيال مديونية العالم الثالث والفقر العالمي، متهمة منظمة التجارة العالمية بتشجيع التبادل التجاري الحر في الوقت الذي تتسع فيه الهوة بين الدول الفقيرة والغنية^(١).

١. حركة أتاك الدولية:

تأسست حركة (آتاك) الدولية بعد اجتماع في باريس في ١١ و ١٢ ديسمبر ١٩٩٨م ضم مجموعة من الجمعيات والشخصيات استجابة لدعوة (إينيسيو رامونيه) الذي نادى بتأسيس هذه الحركة في مقال له في جريدة العالم الدبلوماسي في ديسمبر ١٩٩٧م^(٢). ومعنى منظمة (آتاك): (الهجوم من أجل فرض رسوم على الصفقات المالية بغرض مساعدة المواطنين. (ATTAC Association de taxation des transactions financières pour l'aide aux citoyens).

وتتشكل جمعية (آتاك) الدولية من شبكة تعددية بدون أية بنية هرمية أو مركز جغرافي، تغتني بتنوع مكوناتها، وتسعى إلى العمل المشترك دون تقييد بأي شكل لحرية المبادرة لأي طرف. تسعى إلى تقوية وتنسيق تدخلات كل الشركاء ممن يعملون وفق أرضيتها، وإلى التنسيق مع الشبكات الأخرى التي قد تختلف معها حول بعض الأهداف... وللمنظمة عدة فروع في العديد من دول العالم، بما في ذلك الوطن العربي. وقد ضمت ٩ آلاف منخرط و ١١٠ لجان محلية في عام ١٩٩٨م. وتوجه هذه المنظمة انتقادات لاذعة لصندوق النقد الدولي، والمنظمة العالمية للتجارة، وللشركات الكبرى العالمية.

(١) نيكولاس، غايات. قرن أمريكي آخر؟، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٣م، ترجمة. رياض حسن، ص ٢٧١-٢٧٢.

(2) Ramonet. Désarmer les marchés. Le Monde diplomatique, décembre 1997. Ignacio.

٢. المنظمات الخيرية:

ظهرت المراكز الاجتماعية الإيطالية في السبعينيات في الشمال الإيطالي (Centro sociale occupato autogestito)، وجاءت لتسد النقص الكبير الذي أهملته الحكومة الإيطالية في الجانب الاجتماعي. وهذه المراكز نشاط حيوي، وتعمل في إطار مجموعة شبكات. يُعدّ (Beppe Caccia) من حزب الخضر الإيطالي ونائب رئيس بلدية Venice المكلف بالشؤون الاجتماعية هو المؤسس لهذه الجمعية الخيرية. وهي غالباً ما تقوم باحتلال فضاءات مهملة بطرق غير شرعية؛ لتحوّلها إلى مراكز اجتماعية تقدم خدمات للفقراء والمرضى والأجانب، وتنظم نشاطات ثقافية، وعروضاً للمسرحيات والأفلام مقابل أسعار زهيدة، ويعدّ الطلبة أكثر المستفيدين من هذه العروض^(١).

ونجد جمعيات مشابهة لها في فرنسا، كجمعية (EMMAUS) التي يشرف عليها الراهب بيير (L'abbé Pierre)، وجمعية أطباء بلا حدود (Médecins sans frontières) التي أسسها برنارد كوشنير، وجمعية (Toit du monde)، وجمعية (Le SAMU social) وجمعية تحرك ضد الجوع (Agir contre la faim)، وجمعية الحق في السكن (DAL).

٣. منظمات حماية البيئة:

ظهرت في أوروبا عدة جمعيات من أجل حماية البيئة، وهي تطالب بالحفاظ على نظافة الطبيعة، والسيادة الغذائية، ومنع استيراد الزراعات المعدلة وراثياً من أمريكا، وتضغط على الهيئات الدولية لسن قوانين لمنع الصيد؛ للحفاظ على مجموعة من الحيوانات من الانقراض. وقد دعت هذه المنظمات إلى جعل يوم ٨ أبريل ٢٠٠٦ يوماً عالمياً ضد الزراعات المعدلة وراثياً. ومن أهم هذه المنظمات نذكر هنا على سبيل المثال:

Agir pour l'Environnement, Les Amis de la Terre, La Confédération Paysanne, la Fédération nationale de l'agriculture biologique (FNAB), France Nature Environnement (FNE), Greenpeace, Nature et Progrès, Les Alternatifs, Les Verts ...

(1) http://www.agoravox.fr/article.php?id_article=7615.

وكانت منظمة Green peace أشهر هذه المنظمات قبل أن تزاوحها في الشهرة جمعية الاتحادية الفلاحية la Confédération Paysanne؛ بفضل شخصية رئيسها جوزيف (جوزي) بوفيه^(١). لقد أصبح هذا الفلاح الفرنسي رمزاً للفلاحين وجمعيات حماية البيئة، واستقبل في رحلاته العديدة عبر العالم من طرف الشخصيات السياسية والنقابية والمدنية، وشارك في كل التجمعات الدولية، كتجمع جنوى (Gênes) إلى جانب المناهضين للعولمة الذين حضروا إلى هذه المدينة الإيطالية للاحتجاج على قمة الدول الثماني الأكثر تصنيعاً؛ أو مؤتمر المنظمات المناهضة للعولمة في بيروت....، وتزعم حملة عالمية منذ حزيران ٢٠٠٤م؛ للمطالبة بالاعتراف بالسيادة الغذائية كحق جديد من حقوق الإنسان.

٤. الحركات النسوية:

للنساء إسهام بارز في التعبئة في المسيرات والملتديات، وإن لم تظهر بشكل كبير في المواقع الرئيسة لحركة المناهضة للعولمة. ومن أبرز هذه المنظمات النسوية: Coordination des femmes Egalité جمعية المسيرة العالمية للنساء، ومنظمة النساء من أجل البيئة والتنمية^(٢)، وهي تمثل شبكة دولية تسعى لتحقيق الأهداف التالية:

- الدفاع عن وجود متساو للنساء في عملية اتخاذ القرارات الاقتصادية والسياسية.
- إيجاد حلول للتنمية المستدامة للنساء والمجتمعات.
- تعزيز المساواة الاقتصادية للنساء، ورفع الوعي العام بالآثار السلبية للعولمة على النساء، وعائلاتهن، ومجتمعاتهن، والبيئة.

(١) لا بد أن نسجل هنا الموقف الشجاع لجوزي بوفيه؛ فقد لبى في مارس ٢٠٠٢م دعوة جمعية الفلاحين الفلسطينيين للاحتفال بيوم الأرض. ويدخل هذا النشاط في الحملة العالمية لحماية الشعب الفلسطيني. وتوجه الوفد إلى رام الله للاعتصام إلى جانب الرئيس ياسر عرفات. وعند خروجه اعتقله الجيش الإسرائيلي، وبعد يومين قضاهما في السجن نفى إلى فرنسا، وقد استقبله أنصار اللوبي الصهيوني بمطار أورلي الدولي بهتافات مضادة.

(٢) أمين سمير، وأوتار فرانسوا. مناهضة العولمة. مديبولي، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٢٤٢.

الحركات المناهضة للعولمة في أوروبا، وكيف يستفيد منها المسلمون

وشكلت هذه المنظمات النسوية ضغطاً كبيراً على المنتديات والمؤتمرات، كمؤتمر ريو في عام ١٩٩٢م بخصوص البيئة والتنمية، ومؤتمر ١٩٩٤م عن السكان والتنمية في القاهرة، ومؤتمر عام ١٩٩٥م عن التنمية الاجتماعية في كوبنهاجن، والمؤتمر العالمي الخاص بالمرأة في بكين عام ١٩٩٥م^(١).

٥. المنتدى الاجتماعي الأوروبي:

عقد المنتدى الاجتماعي الأوروبي مهرجانه الأول بفلورانس بإيطاليا في عام ٢٠٠٢م، والثاني بباريس في عام ٢٠٠٣م، والثالث بلندن في عام ٢٠٠٤م. ويسعى حالياً لتنظيم مهرجان دولي آخر في أثينا من ٤ إلى ٧ مايو ٢٠٠٦م. وتسبق كل مهرجان تجمعات ولقاءات داخلية على مستوى الدول الأوروبية. وفي كل مرة تطرح قضايا حساسة للمناقشة، وتسعى لإيجاد حلول سريعة لها.

وتشكل هذه المنتديات قوة للضغط على الحكومات الأوروبية، وتركزت ضغوطها على البرلمان الأوروبي. وتنطلق من هذه المنتديات نداءات للاحتجاج والمسيرات الشعبية. وفي هذا السياق، أصدر المنتدى الاجتماعي الأوروبي المجتمع بباريس بياناً نادى فيه إلى اعتبار يوم ٢٠ مارس ٢٠٠٤ يوماً عالمياً ضد النظام النيوليبرالي ومنطق الحرب، وطالب بالخروج الفوري للقوات الأمريكية من العراق، وإعادة السيادة للعراقيين، وخروج القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة، وهدم جدار الفصل العنصري، وهذه المنتديات تساند القوى الإسرائيلية والعربية الساعية إلى السلم الدائم والعدل، وتدعم التعايش بين الشعب الإسرائيلي والفلسطيني. كما تطالب -أيضاً- بخروج القوات المحتلة الروسية من الشيشان.

٦. المنتدى الاجتماعي العالمي:

عقد المنتدى الاجتماعي العالمي اجتماعاته الثلاثة الأولى في بورتو إلجيري بالبرازيل في الأعوام التالية: ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣م، والاجتماع الرابع في مومباي بالهند في الفترة من ١٧ إلى ٢٠ يناير ٢٠٠٤م.

وقد اجتمع المنتدى الاجتماعي العالمي في بورتو إلجيري بالبرازيل في فبراير ٢٠٠٢م لمحاولة الإجابة عن الإشكالية التالية: 'لماذا العولمة البديلة؟'، وهو مؤتمر نظم في مواجهة المنتدى الاقتصادي العالمي المنعقد في الفترة نفسها في مدينة نيويورك. وشارك في هذا المنتدى

(١) أمين، أوتار. المرجع السابق.

حوالي (٥٠ ألف) مشارك، توافدوا من مختلف أنحاء العالم، ومن المشاركين حركات اجتماعية، ومنظمات أهلية ونقابية.

وتعرض المنتدى العالمي لانتقادات من كل الجهات بما فيها الجمعيات المناهضة للعولمة التي تنهم بـ 'منع تحويل الحركة العالمية المناهضة للعولمة، من حركة مناهضة للإمبريالية، ولأسس النظام الرأسمالي العالمي، إلى حركة قاصرة على مناهضة الجوانب السلبية للعولمة'.

٧. حركة مقاومة مومباي ٢٠٠٤ المناهضة للحرب والعولمة والإمبريالية:

عقد اجتماع مواز لمنتدى مناهض للعولمة، بمشاركة ٣١١ منظمة وحركة اجتماعية من كل أنحاء العالم ومن الهند على نحو خاص، نظمته ألعصبة الدولية لنضال الشعوب، وسمي بمقاومة مومباي ٢٠٠٤م. (Mumbai Resistance 2004) في الفترة من ١٧ إلى ٢٠ يناير ٢٠٠٤م. وجاء هذا اللقاء موازياً لاجتماع المنتدى الاجتماعي العالمي الذي انعقد في نفس الفترة. وبرزت هذه المؤشرات أكثر في المنتدى الاجتماعي العالمي الثالث (٢٠٠٣م)، وتجسدت في نقد العديد من المشاركين لخروج (لولا) الرئيس البرازيلي من منصة افتتاح المنتدى الاجتماعي العالمي ليلتحق بمنصة المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس^(١).

وأوضح البيان الذي نشرته هذه الحركة التزامها بعدة مبادئ، والدفاع عن مجموعة من القضايا، كالقضية الفلسطينية، وتحرير العراق، وأفغانستان. وفي الجانب الاقتصادي تطالب بإلغاء كل ديون العالم الثالث، والخلاص من كل المؤسسات الدولية، كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية.

ج- المؤتمرات:

انعقدت عدة مؤتمرات دولية لدراسة ظاهرة العولمة وتداعياتها. ويهنا هنا أن نسلط الضوء على المؤتمرات التي ناقشت سلبيات العولمة، وطرحت بدائل لها. وهذا ما يجعلنا نشير إلى مؤتمرات رسمية، نظم بعضها صناعات العولمة نفسها؛ مثل: المنتدى الاقتصادي المنعقد في نهاية سبتمبر ١٩٩٥م في سان فرانسيسكو برئاسة (ميخائيل غورباتشوف) وحضور شخصيات بارزة من عالم السياسة، والفكر، والإعلام، والاقتصاد؛ لمناقشة مستقبل البشرية في ظل العولمة^(٢).

(١) http://www.albadil.net/newsletter/issue_10/fishawi.htm

(٢) محمد، مراد بركات. 'ظاهرة العولمة رؤية نقدية'. كتاب الأمة، العدد ٨٦، ذو الحجة ١٤٢٢ هـ، ص ٨٨-٨٩.

ونظمت رابطة الجامعات الناطقة كلياً أو جزئياً باللغة الفرنسية، وجامعة شبكات التواصل الفرنسية مؤتمراً دولياً في بيروت في أيار ١٩٩٨م بعنوان العولمة وأوروبا وفرنسا تضمن هجوماً نقدياً عنيفاً للعولمة في صبغتها الأمريكية، وكشف هذا التقرير إلى جانب معطيات أخرى عن إمكانية تطور التباينات الثقافية بين أوروبا وأمريكا^(١). ومن قبل، نظمت اللجنة الوطنية الفرنسية للتربية والتعليم والثقافة لدى اليونسكو مؤتمراً تحت شعار العولمة والحفاظ على الهويات الثقافية، والإبداع، والسياسات الثقافية^(٢).

ويمثل مؤتمر المنظمات المناهضة للعولمة الذي أقيم في بيروت في الفترة ما بين ٩ و٥ تشرين ثاني ٢٠٠١م تحولاً في مسيرة هذه المنظمات، وقد شارك فيه مجموعة كبيرة من الجمعيات والمنظمات غير الحكومية من بلدان مختلفة، وكان من أبرز الوجوه الحاضرة: (جوزيه بوفيه) من فرنسا، و(فرانسوا أوتار) من بلجيكا، وسمير أمين من مصر، و(رويرتو ريسيو) من أوروغواي، ورضوان بوتوي من اتحاد الفلاحين في إندونيسيا. ولم يستطع (ميشيل فارشافسكي) رئيس مركز معلومات البدائل الحضور من إسرائيل؛ فأرسل رسالة قرئت على المشاركين. وكانت هذه التجمعات رداً على مؤتمر منظمة التجارة العالمية الذي انعقد بالدوحة في الفترة ما بين ٩ و١٣ تشرين ثاني ٢٠٠١م.

طالب المجتمعون في بيروت بإيقاف الحرب في أفغانستان. وهي حرب قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية ضد حكومة الطالبان مباشرة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ورفض المؤتمر إطلاق جولة جديدة من الاجتماعات، وعدم ضم قطاعات إضافية لاتفاقات التجارة الحرة، مثل: الاستثمار، والملكية الفكرية؛ وطالبوا بإعادة النظر في الاتفاقات المعقودة، وسياسات الالتزام بتطبيق اتفاقات المنظمة. كما وجه المؤتمر نداءً إلى الشعوب العربية لبناء تجمع عربي من أجل عدالة اجتماعية دولية.

د- المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية:

كثيراً ما تحولت مسيرات المنظمات المعادية للعولمة إلى اشتباكات مع قوات الأمن^(٣) للدول المستضيفة للمؤتمرات، والتجمعات الدولية لرؤساء الدول الأكثر تصنيعاً، أو الشركات الكبرى

(١) الميلاد، زكي. الفكر الإسلامي وقضايا العولمة. الكلمة، العدد ٢٠، صيف ١٩٩٨م، ص ١١؛ العدد ١٩، ربيع ١٩٩٨م، ص ١٨٤-١٨٦.

(٢) الكلمة، العدد ١٩، ربيع ١٩٩٨م، ص ١٨٠-١٨٢.

(٣) Bruno Basini. Avec les maquisards anti-mondialisation. L'Expansion, Paris, juin 2001.

ورجال الأعمال، فتتلقها وسائل الإعلام، وتنشر هذه الصور عن العنف. ولعل أعنف ما شاهده المتفرج العالمي هو الهجوم العنيف والعارم الذي قامت به الشرطة الإيطالية على المركز الإعلامي لمنندى جنوة الاجتماعي، وهو الهيئة التنسيقية لمعظم المنظمات التي شاركت في المظاهرات المناهضة للعولمة. وقد ترتب عن ذلك إصابة الكثيرين بجروح بالغة نقلت بعضاً منهم إلى المستشفيات. وكانت هذه الحركة الاحتجاجية حضرت إلى إيطاليا لتحج على قمة الدول الصناعية الثماني الكبرى المنعقدة في جنوة الإيطالية ٢٠ يوليو ٢٠٠١م. وقامت بهذه المناسبة مسيرات في شوارع هذه المدينة تضم عشرات الآلاف من المتظاهرين جاؤوا من عدة دول أوروبية. وقد أسفرت هذه التجمعات، والمسيرات الاحتجاجية، والمشادات العنيفة بين قوات الأمن والمتظاهرين عن عدة جرحى، ومات خلالها الشاب الإيطالي كارلو جيولياني. ومن قبل، واجهت الشرطة الإسبانية بعنف المتظاهرين في مدينة برشلونة (٢٢ حزيران ٢٠٠١م) من أجل الاحتفال بتراجع البنك الدولي عن عقد قمته المقررة.

وتبادل التهم بين منظمي هذه التظاهرات والسلطات السياسية؛ فتتقد بشدة سوزان جورج (Suzane Georges) نائبة رئيس مؤسسة آتاك فرانس (Attac France) تسلط مناصري العولمة الذين يتعاملون بالقسوة والتعسف مع معارضيتهم، وأكثر من ذلك فهي تصر على أنهم يلجؤون إلى أساليب دينية لحصار الحركة المضادة للعولمة. تقول: إن بعض رجال الشرطة تسرب بثياب مدنية في مؤخرة موكب المتظاهرين، وقاموا بمختلف الأعمال التخريبية، كما هاجموا بعض عناصر الشرطة بلباسهم الرسمي؛ بغية إثارة ردة فعل عنيفة من جانب الشرطة في وجه المتظاهرين المسالمين والصحافيين.

وتعد مسيرات ١٥ شباط ٢٠٠٣م في العالم ضد الحرب في العراق من أكبر أعمال المنظمات المناهضة للعولمة وأنجحها؛ لأنها مست كثيراً من دول العالم. وقد قامت كلها في يوم واحد عبر مدن مختلفة من العالم عبرت عن رفضها لمنطق القوة الذي أرادت أن تفرضه الولايات الأمريكية المتحدة على باقي شعوب العالم ودوله. وسنورد هنا جدولاً يبرز التوزيع الجغرافي لهذه المسيرة، مختصرين الإحصائيات^(١) الخاصة بأوروبا الغربية التي هي موضوع ورقتنا:

(1) <http://www.maroc.attac.org>

البلد	عدد المتظاهرين	ملاحظات
ألمانيا	٥٠٠٠٠٠	في برلين
بلجيكا	٦٠٠٠٠ إلى ٨٠٠٠٠	بروكسل
فنلندا	٢٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠	-
فرنسا	٥٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠ في باريس
اليونان	٢٥٠٠٠٠	في أثينا
هولندا	١٠٠٠٠٠	أمستردام
هنگاريا	٥٠٠٠٠ إلى ٦٠٠٠٠	في بودابست
إيرلاندا	١٠٠٠٠٠	-
أيسلندا	٤٠٠٠	-
إيطاليا	٣٠٠٠٠٠	في روما
النرويج	٦٠٠٠٠	أوسلو
البرتغال	١٠٠٠٠٠	في لشبونة
بريطانيا	٢٠٠٠٠٠٠	-
سلوفينيا	١٠٠٠٠ إلى ٥٠٠٠٠	-
سويسرا	٤٠٠٠٠	في بيرن
السويد	١٢٠٠٠٠	-

تحاول الحركة المناهضة للعولمة أن تستفيد من التجارب القاسية مع السياسات القمعية التي تمارس كل مرة مع عناصرها أثناء مسيراتها السلمية تفادياً لإزهاق الأرواح، وقطع الطريق أمام معارضيها الذين يتهمونها بالفوضى، وممارسة العنف، والتحريض على العصيان المدني وهدم المنشآت. وهذا ربما ما يفسر تنظيم التحالف المناهض للعولمة (تحالف المنظمات غير الحكومية السويسرية والأوروبية المناهضة للعولمة) عدة مرات مسيرات احتجاجية على فعاليات منتدى دافوس الاقتصادي الدولي في سويسرا في مدن داخلية بعيداً عن مقر انعقاد فعاليات هذا المنتدى؛ تفادياً للاشتباكات مع قوات الأمن السويسرية؛ فالهم هو التعبير عن الرفض للعولمة

الاقتصادية، وإيصال الصوت المعارض للمؤتمرين. وكان من أبرز مطالبها رفع الديون عن الدول الفقيرة.

هـ- المعارك السياسية:

لم تكتف الحركة المضادة للعملة بالمسيرات وتأسيس المنظمات، وإنما هي تسعى لتحقيق أهدافها من خلال المشاركة السياسية، في قوائم حرة، أو مع الأحزاب اليسارية أو الخضر. ولعل أبرز مثال على ذلك انتصار الخضر الألمان في الانتخابات التشريعية، وتولي زعيمهم فيشر لحقيبة وزارة الشؤون الخارجية في حكومة المستشار شرودر.

وسجلت قوائم ممارسي الصيد البري والبحري عدة انتصارات في الانتخابات الأوروبية. ويضم اليوم البرلمان الأوروبي عدداً كبيراً من منتخبي الأحزاب الخضر، والمدافعين عن القومية الوطنية الضيقة، والمناهضين للعملة. وجاءت المشكلات الصحية نتيجة للتجارة الحرة، وآخرها مرض الطيور الذي نشر الرعب في أوروبا، وتشير كل الإحصائيات إلى تراجع مبيعات لحم الدجاج بأكثر من ٢٥٪؛ لتدعم أنصار البيئة، وثبتت صحة مخاوفهم.

رفضت مجموعة من الشعوب الأوروبية مشروع الدستور الأوروبي، وعلى رأسها الشعب الفرنسي على الرغم من أن المشرف على كتابة هذا الدستور هو الرئيس الفرنسي الأسبق فلوري جيسكار ديستان. إن الاقتراح بـلا على المعاهدة الدستورية في فرنسا في ٢٩ أيار ٢٠٠٥، ثم في هولندا في الأول من حزيران ٢٠٠٥م، يعبر عن نجاح التيارات القومية الراضية للعملة. وقد أعطى (أوبير فيدرين) Hubert Vedrine، وزير الخارجية السابق في حكومة جوسبان، تفسيرات في منتهى الوضوح لحالة الانزعاج التي أثارها التصويت بـلا: قائلًا إنَّ ما أفسد كلَّ شيء هو بالأحرى هذا التمسك بتسخيف كلِّ شعور وطني طبيعي، وبإضفاء الطابع الكاريكاتوري على كلِّ خوف من توسيع الاتحاد، حتى إن كان مشروعاً وغير صادر عن كره للغريب، وبإلقاء الشبهة على كلِّ رغبة طبيعية تماماً في الحفاظ على بعض السيادة على المصير والهوية في نظام العملة، وبازدراء كلِّ انتقاد. إنَّ كلَّ هذا، مضافاً إلى الاضطراب الاجتماعي، والخوف على الهوية، والشعور بتضعف الديمقراطية - قد أغلق كلَّ المنافذ، ودفع الفرنسيين إلى الضرب بهذه القوة^(١). وقد عدَّ مناهضو العملة فوزاً لا في هذه الانتخابات انتصاراً لهم، وعبر

(١) غريش، آلان. تمرد العالم الدبلوماسي، سبتمبر ٢٠٠٥م.

الحركات المناهضة للعمولة في أوروبا، وكيف يستفيد منها المسلمون (جوزي بوفيه) عن استعداده للترشح للانتخابات الرئاسية القادمة في فرنسا (٢٠٠٧م) لجمع كل هذه الأصوات.

خامساً: نقد حركة المناهضة للعمولة في أوروبا

ما أهم الانتقادات الموجهة لهذه الحركة من طرف خصومها؟

إن خصوم هذه الحركة يتهمونها بممارسة العنف، وهدم المنشآت الاقتصادية، والتمثيل غير الشرعي للجمهير، والتفوق، والاتجاه عكس مسار التاريخ وتطور الإنسانية، وأنها عاجزة عن تقديم البدائل. ونجد هذه الخطابات في تصريحات رؤساء الدول الصناعية الكبرى ورجال الأعمال. وهذا بيل غيتس يقول بصوت عال: إن الناس الذين يشعرون بأن العالم يميل لغير مصلحتهم يتنجون نوعاً من الكراهية الخطيرة جداً علينا^(١). ويحمل أيضاً هذا الخطاب مجموعة من الصحف اليمينية و(النيوليبرالية)، كصحيفة (فاينانشال تايمز)، وأسبوعية (الإيكونوميست)، وجريدة (لوفغارو) الفرنسية... إلخ.

تتحول بعض هذه المجتمعات المدنية إلى قوة قريبة من اللوبيات والأقوياء الذين كانت تحاربهم من قبل، وقد عبر عن ذلك بوضوح (بنجامين باربر) أستاذ العلوم السياسية بجامعة (روترجزر) بالولايات المتحدة الأمريكية في كتابه الشهير *ألجهاد وعالم ماك*^(٢) Jihad us Mcworld.

العمولة لا تعرف حدوداً أيديولوجية، أو قيوداً سياسية، وهي - عكس ما يقره الكثيرون - ليست فقط من صنع اليمين والليبراليين؛ فباسكال لامي (Pascal Lamy) الاشتراكي هو الآن المدير العام لمنظمة التجارة العالمية، أي شرطي النظام الليبرالي العالمي. وكان من قبل مستشاراً عند (بيير موروا) رئيس وزراء في أول حكومة في عهد الرئيس فرانسوا ميتران، ثم عمل متعاوناً مع (جاك دولور) في البرلمان الأوروبي ببروكسل، وحضر إلى مؤتمر الدوحة كالمفوض التجاري لـ ١٥ دولة أوروبية أندريه بيلون André BELLON الرئيس السابق للجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية. ويحذر بعضهم من الوقوع في الفخ الأيديولوجي للعمولة، فقد

(١) كوثراني، هويات فائضة، ص ٨٨-٨٩.

(٢) باربر، بنجامين. ألجهاد وعالم ماك. المواجهة بين التأقلم والعمولة. المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م، ترجمة أحمد محمود، ص ٣٢٩-٣٣٠.

حاول أنصارها أن يقدموها لمعارضيهما اليساريين على أنها ألترعة الإنسانية القديمة في الوصول إلى المواطنة العالمية^(١).

وجهت الباحثة (أرونداتي روي) هجوماً نقدياً لاذعاً لبعض الجمعيات المناهضة للعولمة دون أن تسميها، وبينت كيف تتلقى مساعدات مالية من الشركات الكبرى، وتتساءل: كيف يمكن لها بعد ذلك أن تقوم بالعصيان، والتمرد عليها، وممارسة النقد والمعارضة؟

تقوم وكالات المساعدة في التنمية بتمويل غالبية المنظمات غير الحكومية ورعايتها، وهذه الوكالات تمولها الحكومات الغربية، والبنك الدولي، والأمم المتحدة، وبعض الشركات المتعددة الجنسية. ومع أنها ليست نسخاً متشابهة عن بعضها، فإن هذه الوكالات تنتمي إلى مجمع سياسي غير واضح المعالم يشرف على المشروع (النيوليبرالي)، والذي من أولوياته المطالبة بخفض كبير في النفقات الحكومية. لماذا تمول الوكالات هذه المنظمات غير الحكومية؟ أهي نزعة تبشيرية عفا على مثيلاتها الزمن؟ أم شعور بالذنب؟ ربما الاحتمال الأخير أكثر صحةً من غيره؛ فالمنظمات غير الحكومية تعطي الانطباع بأنها تملأ الفراغ الذي تركته الدولة المتراجعة. وهذا ما تقوم به في طريقة متناقضة؛ فإسهاماتها الحقيقية هي في تنفيس الغضب، وتوزيع قطرات من المساعدات، أو الأعمال الخيرية لما هو أصلاً حق للناس. المنظمات غير الحكومية تغير من النفسية العامة؛ فتحول الناس إلى ضحايا تابعين، وتنهك المقاومة السياسية؛ إذ تشكل نوعاً من واق للصدمات بين الإمبراطورية ورعاياها. وقد تحولت إلى حكم في النزاعات، وإلى وسيط ومترجم على المدى الطويل، فإن المنظمات غير الحكومية مسؤولة تجاه المانحين وليس تجاه الناس الذين تعمل في صفوفهم^(٢).

سادساً: نجاح أم الفشل؟

ما المعايير التي نستند إليها لنحكم على نجاح هذه المنظمات المناهضة للعولمة أو فشلها؟ هنالك مجموعة مؤشرات تكشف عن مدى تقدم نضال هذه المنظمات في التعبير عن وجودها وتأثيرها على مجريات أحداث عالمية، لكن دون أن تؤثر بشكل مباشر في اتخاذ القرارات في القضايا الحساسة المطروحة اليوم. ونستطيع أن نجعلها في النقاط التالية:

(١) بيلون، أندريه. وخلق الله العولمة!، العالم الدبلوماسي، نوفمبر ٢٠٠٤م.

(٢) أرونداتي، روي. مقاومة خطر المنظمات غير الحكومية. العالم الدبلوماسي، أكتوبر ٢٠٠٤م.

الشرح الذي تحدّثه داخل المعسكر (النيوليبرالي)، ومنع انعقاد مؤتمرات المنتديات الاقتصادية العالمية، وإرغام الهيئات الدولية على إصدار قوانين تسير في اتجاه مطالبتها، وبروز حالة من التمرد على النظام العالمي الجديد والعملة، وتعاون هذه المنظمات من الشمال مع نظيراتها في الجنوب في بعض المشاريع التنموية. وقد تحقّق جزء من ذلك على أرض الواقع كما بينا من قبل، ولا خير أن نشير هنا إلى مشاهد أخرى:

أ- إحدّث شرح داخل المعسكر النيوليبرالي:

يتعرّض صف العملة من حين لآخر مرةً بنيةً حسنة، ومرات لحسابات سياسية، واعتبارات انتخابية، بتصريحات أو تنظيم منتديات وندوات حول أنسنة العملة؛ وذلك بالحديث عن مشروعية بعض المطالب، واحتضانها قبل فوات الأوان؛ فهذا (بيل كليتون) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يوجه خطاباً إلى المتظاهرين في سياتل قائلاً لهم: 'سعيد بأن الآخرين قد حضروا؛ لأنهم يمثلون الملايين من الناس الذين يتساءلون الآن عما إذا كان هذا المشروع سيوصلنا إلى المكان الذي نريد الوصول إليه. ويجب أن نرحب بأسئلتهم ونكون جاهزين لإعطاء الجواب؛ لأننا إذا لم نكن قادرين على خلق اقتصاد عالمي مترابط يعمل على زيادة الازدهار والفرص الحقيقية للناس في كل مكان؛ عندها ستكون جميع مبادراتنا السياسية أقل نجاحاً^(١)'. وصرح الرئيس البرتغالي السابق ماريو ألبيرتو شواريس (Mario Alberto Soares) في أكاديمية المملكة المغربية في عام ٢٠٠٠م أن العملة الجارية تؤدي إلى عوالة المشكلات، ولكنها لا تؤدي إلى عوالة الحلول^(٢).

ومن خارج عالم السياسة، اختار عالم الاقتصاد الأمريكي (جاي مازور) مجلة 'فورين أفيرز' ليقول: 'إن سياسات التجارة الحرة التي تتجاهل حقوق العمال واحتياجاتهم سوف تدفع العالم في طريق التراجع إلى الخلف، بدلاً من التقدم نحو الأمام'. ويقف (جاي مازور) إلى جانب حقوق العمال، ويؤيّد مطالبهم الرامية إلى التوزيع العادل للثروات التي يسهلون في إنتاجها، ويرفض

(١) غايات، قرن أمريكي آخر؟، ص ٢٧٣.

(٢) الدجاني، أحمد صدق. العملة: رؤية تحليلية لواقع الظاهرة ومستقبلها. في: العملة وأثرها في المجتمع والدولة.

أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٢م، ص ٢٦.

الأفكار السائدة في عدد من الدول الصناعية التي باتت تنظر إلى مطالب العمال على أنها دعوة رومانسية لا مكان لها في زمان العولمة^(١).

ب- منع انعقاد مؤتمرات المتدييات الاقتصادية العالمية:

تعترف المنظمات المناهضة للعولمة بأن لها الفضل الكبير في منع انعقاد مؤتمرات المتدييات الاقتصادية العالمية، والتشويش على اجتماعات رؤساء الدول الثماني الأكثر تصنيعاً في العالم، وتزخر سجلاتها بأثلة عديدة ذكرناها من قبل ولا مانع أن نضيف هنا ما حققته من انتصارات أخرى؛ كإفشال اجتماعات منظمة التجارة العالمية في (كانكون) بالمكسيك، وكذلك إفشال اجتماعات منظمة البلدان الأمريكية التي عقدت في ميامي... وفي أحيان أخرى أرغمت الهيئات الدولية على إصدار قوانين تيسر في اتجاه مطالبتها، وقد تمخض عن مؤتمرات الأمم المتحدة في ريو (١٩٩٢م)، وكيوتو (١٩٩٧م) عدد من البروتوكولات والاتفاقات المهمة المتعلقة بالبيئة.

وعدّت الحركة المناهضة للعولمة مسيرات ومظاهرات (سياتل) انتصاراً كبيراً، ومنعطفاً في مسارها النضالي. وثمت مناقشة هذه المكاسب عبر حلقات دراسية، وتجمعات شعبية؛ لوضع خطة عمل جديدة للمستقبل. ولعل أبرز ما يمكن قوله في هذا الصدد: إن النقاشات التي تمت في مجلة (البداثل) الاقتصادية في عددها الخاص بـ الحركة المناهضة للعولمة هي حصيلة إيجابية على العموم^(٢)، ومجلة (البحوث الدولية) التي خصصت لهذا الغرض ملفاً محورياً بعنوان 'عالم للبيع أم للبناء؟' إضافات سياتل^(٣).

ج- التمرد على النظام العالمي الجديد والعولمة:

وُثِرَ الأحداث التالية حالة من التمرد على النظام العالمي الجديد والعولمة:

-
- (١) نافع. "انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة"، ص ١٢٩.
- (2) Alternatives Internationales n° 20, janvier 2005. Altermondialisme: un bilan globalement positif. Dossier.
- (3) Recherches internationales. N°60-61, 2000. Un monde à vendre ou à construire? La portée de Seattle.

الحركات المناهضة للعمولة في أوروبا، وكيف يستفيد منها المسلمون:

- رفض إيران لاقتراح الدول الأوروبية الثلاث (ألمانيا، وفرنسا وبريطانيا) المدعومة من الولايات المتحدة، المتضمنة التخلي النهائي عن تخصيب اليورانيوم، في الوقت الذي تعطيها فيه معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية الحق في هذا التخصيب.
- تكاثر زيارات المسؤولين الصينيين إلى إفريقية وأميركا اللاتينية.
- التوتر التجاري بين الولايات المتحدة وأوروبا والصين حول قضية النسيج.
- إقرار كوريا الجنوبية بحق بيونغ يانغ الحصول على صناعة نووية لأغراض مدنية وذلك في تعارض مع موقف واشنطن.
- تزايد الشعور القومي في كافة أنحاء العالم ضد النظام العالمي الجديد.
- في أيلول ٢٠٠٣م، سبق لعشرين دولة من دول الجنوب، وخصوصاً الهند، والبرازيل، وإفريقية الجنوبية إن أفشلت في كانبكون مؤتمر منظمة التجارة العالمية بعد رفض مطالب هذه الدول.

- المعارضة الواسعة في فرنسا لشراء شركة دانون من قبل لبيسي كولا.

د- التعاون بين هذه المنظمات (شمال-جنوب):

تؤثر حركات المنظمة الشعبية في توجيه بعض السياسات الداخلية والخارجية عندما تتكفل فيما بينها. لقد وسعت العمولة الاقتصادية المسافة بين من يتخذون القرارات ومن يتحملون تبعاتها. وتتيح اللقاءات من نوع المنتدى الاجتماعي الدولي المجال أمام حركات المقاومة المحلية لردم هذه المسافة، والتعاون مع نظرائها في البلدان الغنية؛ فعندما تم -مثلاً- بناء أول سد خاص في (ماهيشاوار) سمحت العلاقة بين كل من منظمة (نارامادا باشا أندولان) والمنظمة الألمانية (أورجوالد)، و(إعلان برن) في سويسرا، والشبكة الدولية للأنهر في بركلي بإخراج المشروع من بين أيدي مجموعة من المصارف والشركات الدولية. وما كان هذا التعاون ليحصل لولا المقاومة الثابتة على الأرض وإيصال صوت هذه الحركة المحلية بفضل ما تلقت من مساندة دولية؛ لتحرج المستثمرين، وترغمهم على الانسحاب...^(١).

(١) أروي، المرجع نفسه.

سابعاً: كيف ينظر المثقفون المسلمون للمعارضة الأوروبية للعولمة؟

قبل التطرق إلى موقف المفكرين العرب والمسلمين من حركة المناهضة للعولمة في أوروبا في مختلف أشكالها التي تعرضنا لها سابقاً، أود أن أقف هنا عند التوجهات العامة هؤلاء من ظاهرة العولمة، ويمكن تلخيصها في خمسة توجهات:

فئة اهتمت بالتعريف بالمصطلح (السيد ياسين، صادق جلال العظم، عز الدين إسماعيل، حسن حنفي، أحمد شهاب، تركي علي الربيعو...) وأخرى بقراءة هذه الاجتهادات (علي حرب، إدريس هاني، مروان عبد الرزاق، جورج طرابيشي...)، بينما ركزت مجموعة أخرى على كشف مخاطر العولمة، في جميع جوانبها، وخاصة في الاقتصاد والثقافة (محمد عابد الجابري، سمير أمين، عبد الإله بلقزيز، محمد عمارة، عبد الحفي زلوم، أحمد صدقي الدجاني، جلال أمين...)، واهتم الآخرون بعرض البدائل للعولمة (لؤي صافي، إبراهيم أبو ربيع، زكي الميلاد...)، وأخيراً بدأ كتاب آخرون يتحدثون عن العولمة الجديدة^(١).

ويتبين من قراءة هذه التوجهات الفكرية حقيقة؛ وهي أن مسألة معارضة أو مواجهة العولمة في الغرب لم تنل -بعد- ما تستحقها من الدراسة والتحليل؛ فقليلاً ما توقف هؤلاء المفكرون العرب والمسلمون عند هذا الجانب من العولمة.

يرى المفكر اللبناني علي حرب في هذه الحركة التي ظهرت في أوروبا تعبيراً عن سلوك أيديولوجي ووصف مواقف مناصريها بالموقف الاستبعادي للحدث^(٢). وهم ما زالوا -في نظره- يتمسكون بأيديولوجيتهم القديمة التي تختزل العولمة في تعابير التمركز والهيمنة، أو السوق والسلعة، أو الاستعمار والرأسمالية، أو الاختراق والاحتصاب، أو الغزو والاكتماس. ويضع الدكتور علي حرب في نفس الموضع مفكرين مسلمين، مثل الدكتور محمد عابد الجابري، والدكتور صادق جلال العظم^(٣).

ومن زاوية مختلفة، يقول منير شفيق -وهو محق في ذلك: إن مشكلة العولمة في المجال الثقافي يجب ألا ينظر إليها أنها فقط ذات طابع عولمة غربية في مقابل ثقافة إسلامية، هناك صراع في المجال الغربي نفسه حول موضوع العولمة؛ لأن الثقافة الغربية في كثير من البلدان الأوروبية تجد

(١) كاظم حبيب. العولمة الجديدة. الطريق، العدد ٣، ١٩٩٨ م.

(٢) حرب علي. تحديث النهايات. فتوحات العولمة ومآزق الهوية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠ م،

ص ١٠٢.

(٣) حرب، نفس المرجع، ص ٤٤-٤٧.

الحركات المناهضة للعولمة في أوروبا، وكيف يستفيد منها المسلمون

نفسها الآن مهددة بالعولمة الأمريكية، بوسائل الإعلام الأمريكية، التي تحاول أن تكتسحها؛ لذلك نسمع من أيام ميتران ومن شيراك وعدد من القادة والمفكرين الفرنسيين والغربيين، وأجهزة الإعلام الأوروبية- انزعاجاً من محاولة فرض العولمة الأمريكية عليهم، ليس فقط بسبب قوتها، وإنما قد تستخدم قوتها المالية للسيطرة على أجهزة الإعلام الغربية ومن ثم تؤثر على الثقافات الغربية المختلفة، ومن ثم هناك معركة عالمية ضد محاولات السيطرة الثقافية للثقافة الأمريكية^(١).

استقبل كثير من المفكرين المسلمين بترحاب مجموعة من الكتب صدرت في أوروبا تناولت بالنقد ظاهرة العولمة. وقد لقي كتاب (هانس بيتر مارتين، وهارالد شومان) 'فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية'- على سبيل المثال- اهتماماً كبيراً؛ وذلك بترجمته للغة العربية أولاً، ثم دراسته ومناقشته بشكل مكثف^(٢).

إن من أبرز ما يلاحظ في هذه الحركة هو غياب العنصر العربي والإسلامي- باستثناء بعض المنظمات والشخصيات- كالمفكر المصري سمير أمين- في المشاركة الفعالة والمباشرة في حركة المناهضة للعولمة، في حين أن العرب والمسلمين هم أكثر شعوب الأرض احتجاجاً على ظلم النظام الدولي السائد، وأقل المشاركين بين تلك الشعوب في الجمعيات والمنظمات المناهضة لهذا النظام الدولي^(٣). ويعود هذا الأمر إلى عدة أسباب. منها: نقص الوعي بمخاطر العولمة، ونقص التجربة مع النضال العالمي، وعدم وجود ديمقراطية حقيقية تسمح بظهور حركات من المجتمع المدني خارج الأطر التي رسمتها الحكومات العربية الرسمية؛ فكثيراً ما حاولت السلطات السياسية العربية إقناع شعوبها بأن الانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة هي السبيل الوحيد للخروج نهائياً من التخلف. وهذا الخطاب يعلو على كل الخطابات، ويهمش ما سواه ويلغيه. وتبقى غالبية الناس في العالم العربي والإسلامي تجهل حقيقة العولمة، وخطورة الدخول فيها بدون استعداد كامل في مختلف الميادين.

(١) شفيق، منير. 'عالمية الثقافة الإسلامية أمام تحديات العولمة'. مجلة الكلمة، بيروت، العدد ١٩، ربيع ١٩٩٨م، ص ١٠٥.

(٢) انظر -على سبيل المثال- لا الحصر: مصطفى العدوي. العولمة فخ يعتدي على الديمقراطية والرفاهية والشعوب. الطريق، العدد ١، يناير-فبراير ٢٠٠١م، ص ٧٤-٧٥. محمد الريمحي. 'العولمة وفخاؤها: حتى لا تتحول الرأسمالية إلى حيوان شر'. العربي، الكويت، العدد ٤٨٤، مارس ١٩٩٩م. ص ٢٠. عمود قرني. تحليل كتاب فخ العولمة، العصور الجديدة، القاهرة، العدد ٤، ديسمبر ١٩٩٨م.

(٣) كوثراني، المرجع السابق، ص ٩٤.

ثامناً: كيف يستفيد المسلمون من هذه الحركة؟

ترشح كل الدراسات الاستشرافية أن يكون للإسلام أثر بارز في الحراك العالمي القادم. ويفرض ذلك على المسلمين الذين يمثلون هذا الدين مسؤولية كبيرة؛ لأنه لا يمكن لهم أن يبقوا خارج الحركة التاريخية التي رسمت طريقها في هذا القرن الجديد. يجب على المسلمين - إذن - أن يسهموا بشكل إيجابي في هذه المسيرة الحضارية، ولا يمكن لهم أن يسهموا بفعالية في هذه التنظيمات العالمية إلا إذا عرفوا سلبياتها؛ لتفاديها، وأدركوا إيجابياتها؛ للعمل بها.

ونأمل أن تكون النتائج التالية التي توصلنا إليها في هذه الدراسة - التي سنلخصها على شكل نقاط - تساعد على تحقيق ذلك:

- ضرورة تشكيل رؤية واضحة عن ظاهرة العولمة وتداعياتها؛ حتى يكون تصورنا لها دقيقاً - نميز بين منافعها وأضرارها، ونبتعد عن التطرف في الحكم عليها، ونتعامل معها بذكاء وحكمة. ومن المؤسف أن بعض المثقفين المسلمين لا يطرحون حتى الأسئلة المتعلقة ببعض مخاطر العولمة^(١)، في حين يرفضها الآخرون شكلاً ومضموناً.^(٢)

- وجدت الحركة المناهضة للعولمة فضاءات للحركة، وأحوالاً للنضال داخل المجتمعات الأوروبية؛ لما تتمتع به شعوبها من اليقظة، والحس الجماعي، وما يتسم جوها السياسي بالديمقراطية، وحرية التعبير، وهي أمور تسمح لكل القوى أن تعبر عن نفسها وقيمها، وتشرح مبادئها، وترفع شعاراتها في وضوح النهار، فبفضل هذه الشروط الأساسية صمدت هذه الحركة على الرغم من كل المشكلات التي تعرقل مسيرتها.

- العمل على الاستفادة من كل الأفكار الجديدة التي يطرحها المناهضون للعولمة من داخل الغرب^(٣)، ومن العالم الآسيوي المتطور، ومتابعة كل ما تثيره من نقاشات حادة؛ فقد أثار - مثلاً - كتاب آسيا التي تستطيع أن تقول لا والذي اشترك في تأليفه كل من رئيس الوزراء الماليزي محاضر محمد، والياباني شيتارو إشينهارا - غضب الإدارة الأمريكية، وعبر عن ذلك كل

(١) فؤاد زكريا. نزعة إنسانية تتخطى الحدود السياسية. مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٢٧، العدد ٤، شتاء ١٩٩٩م، ص ١٥٦.

(٢) جلال أمين. العولمة. القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٨م.

(٣) بدأ المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي يحظى باهتمام المثقفين العرب والمسلمين؛ وذلك تقديراً لجهوده في نقد السياسة الأمريكية في العالم. انظر - على سبيل المثال: فرج محمد صوان. نعوم تشومسكي من اللغة إلى الثورة. طرابلس، فضاءات، العدد ٧، آيار ٢٠٠٣م، ص ١١١-١٢٣.

من نائب الرئيس الأمريكي آل جور، وكاتبة الدولة للخارجية مادلين أولبرايت^(١). بينما رد على هذا الكتاب بعض الباحثين بقولهم: إن الولايات المتحدة الأمريكية ليست الوحيدة المسؤولة عن الآثار السلبية التي أفرزتها العولمة؛ فللنموذج الآسيوي - وخاصة اليابان - نصيب كبير في ذلك^(٢). - إن عولمة الثقافة لا تعني بالضرورة نشر الثقافة الإنسانية وتعميمها على الشعوب كما طرحها فلاسفة الأنوار في أوروبا. والعالم يشهد -اليوم- محاولة قصر الثقافات على طابعها الفولكلوري، وهذا ما نشاهده في كثير من القنوات التلفزيونية في الغرب، وفي العالم العربي. وقد أثارت بعض من هذه البرامج المصنفة في المجال الثقافي ردود أفعال عنيفة في الغرب أولاً، ثم في عالمنا الإسلامي، وأوضح دليل على ذلك: ما قام به المناهضون للعولمة في فرنسا من اعتصامات واحتجاجات على بث التلفزيون الفرنسي (القناة السادسة) لبرنامج (Loft story)؛ فقد عدّوه إهانة للفن وتكريساً للفن، الأمريكي الفلكلوري المدعم للثقافة الإمبريالية. وقد منعت مجموعة من الدول الأوروبية تحت ضغط جمعيات أولياء التلاميذ بث حصص أو أفلام أمريكية تراها تتنافى مع الأخلاق وتتعارض مع التقاليد الأوروبية. وعبر عن الهموم نفسها كثير من العرب والمسلمين عندما بثت بعض القنوات العربية برنامج (Stars Academy)، وأمام الضغط الجماهيري العربي والحملات الاحتجاجية على هذا الفن الهابط المخيل للحياة والذوق السليم، تراجعت بعض من هذه القنوات العربية عن برمجته. وهذه الأمثلة تبين إلى أي حد يمكن للمسلمين أن يتعاونوا مع غيرهم في قضايا عديدة، مثل حماية الطفولة والقيم الأخلاقية. وكلما اتسعت دائرة المعارضين لمسألة ما، كلما ازدادت قوة الضغط والتأثير، من ثم تضاعفت حظوظ الحل والاستجابة.

- أمام الانتقادات الموجهة لنشطاء الحركة المناهضة للعولمة، بدأ بعضهم في تجديد خطابه بطرح مشروع العولمة البديلة 'altermondialisation' خلافاً لـ 'مناهضة العولمة' antimondialisation. ولعل أشهر المنظمات التي سارت في هذا المسلك الجديد: 'مبتدى البدائل' الذي يرأسه المفكر المصري سمير أمين بمساعدة البلجيكي (فرانسوا أوتار)، ولم تسلم أيضاً هذه الحركة الأخيرة من انتقادات مناصري العولمة ومن مهاجميها معاً. ويرى (أندري بلونز)

(١) زلوم، نفس المرجع، ص ٣٦-٣٧، ٢٥٦.

(2) Fligstein Neil. Rhétorique et réalités de la mondialisation. Actes de la recherches en sciences sociales, Paris, n° 119, septembre 1997, p.36-47.

الرئيس السابق للجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية - أن من الخطأ الانشغال بالرد على المغالطات التي يطرحها أنصار العولمة؛ لأن كثيراً منها قد تمت مناقشتها من قبل، وتجاوزها الفكر السياسي خاصة في مسألة صلاحيات الدولة المركزية، ومهامها في تسيير الاقتصاد^(١).

- إن تعدد التيارات المكونة للحركة المناهضة للعولمة، وتنوع القضايا التي تتبناها وتناضل من أجلها، تفرض على المسلمين أن يدركوا جيداً هذه الاختلافات؛ حتى لا يضيعوا جهداً هم في أمس الحاجة إليه. فإذا نظرنا -على سبيل المثال- إلى متدني معارضة الفكر الأحادي -الذي أشرنا إليه في الصفحات الأولى من هذا البحث- نجد أنه يضم في صفوفه شخصيات من مختلف التيارات السياسية والمهنية، منها من تناصر -بدون تحفظ- الصهيونية العالمية، فيما تعارضها الأخرى بشدة. ونجد -أيضاً- من بين أعضائها من شدد على اللاجئين السياسيين والمغتربين، وحارب الحجاب بقوة، وأشهر رفضه للوجود الإسلامي في أوروبا. وهذا ما يتنافى مع فلسفتها القائمة على نصرة المستضعفين على اختلاف أديانهم ولغاتهم وأجناسهم، فورود بعض الأسماء اللامعة^(٢) في هذه الجمعيات ليس دليلاً على تبنيها لكل القضايا المعروفة في الخطاب المناهض للعولمة.

- لا تعرف معظم هذه المنظمات حدودها بالضبط، وتنشط في فضاءات ومجالات ليس لها فيها رؤية واضحة وإستراتيجية بيّنة. ونحن نؤكد -مع الباحثين جون بولي، وجون توماس- أن المنظمات الدولية غير الحكومية لا تتوافر إلا على القليل من قوة الإلزام والقسر، وإن كانت تنصرف كما لو كانت مخولة ومفوضة بأقوى معاني التحويل والتفويض الممكنة بأنها تضع قواعد معينة وتتوقع اتباعها؛ تقوم بطرح آرائها على الدول أو المؤسسات العابرة للحدود القومية مناشدة إياها بالإصغاء إليها، ثم تعبر عن الإدانة المعنوية والأخلاقية حين تذهب

(1) André Bellon. Pourquoi je ne suis pas altermondialiste. Eloge de l'antimondialisation. ed Les Mille et Une Nuits, Paris, 2004.

(٢) بول ماري كوتو مستشار وزير الداخلية اليميني السابق. شارل باسكو الذي أصدر قوانين قاسية تمس الأجانب لنجدته إلى جانب اليساري جون كلود بارو مستشار الرئيس اليساري فرانسوا ميتران. وفي نفس المتدني، يلتقي الكاتب المتصهين آلان فنكيلكروت والكاتب المتعاطف مع القضية الفلسطينية جون فرانسوا كان. وفي نفس المتدني ينشط ألكسندر دا فال الحبير في الشؤون الجيوسياسية والمعارض للحجاب والتواجد المتزايد للمسلمين في أوروبا.

الحركات المناهضة للعولمة في أوروبا، وكيف يستفيد منها المسلمون دعواتها أدرج الرياح. وهكذا فإن مرجعية أو سلطة المنظمات الدولية غير الحكومية غير رسمية، إنها ثقافية^(١).

- تطرح الحركة المناهضة للعولمة أسئلة جوهرية حول مهام الدولة، ومصير البشرية، وحقوق المستضعفين، وحرية التنقل... ولكنها تقدم إجابات خطيرة تتناقض أحياناً مع قيمنا وأعرافنا خاصة في المجال الاجتماعي أو العقائدي؛ الحرية المفرطة للمرأة، وإسقاط شرط الزواج في بناء الأسرة، والتحرير على الاختلاط، وإباحة الشذوذ الجنسي، وحق الإجهاض، والتشجيع على الإلحاد، والردة، وعزل الدين عن حياة الناس...

- تدافع جمعيات حماية البيئة عن مجموعة قضايا نشترك معها، مثل: الحفاظ على البيئة وعدم التلوث، والابتعاد عن استهلاك الزراعات المعدلة وراثياً، ولكن هناك قضايا تتعارض معها كلية، مثل: التطرف في عدم استعمال الطاقة النووية في جميع المجالات، ومنع أكل اللحوم، والدفاع المفرط عن الحيوانات، كما هو الحال مع جمعيات محبي أو الحيوانات، أو أصدقائها. وقد بلغ بعضها أن عارضت المسلمين في مسألة ذبح أضحية العيد، ورفعت ضدهم قضايا أمام المحاكم.

- بدأ العرب والمسلمون يدركون أهمية المشاركة في هذه المنظمات المناهضة للعولمة، ويدل على ذلك مجموعة دلائل، منها: استضافة بيروت لمؤتمر المنظمات المناهضة للعولمة في الفترة ما بين ٥ و٩ نوفمبر ٢٠٠١م. كما انعقد في مدينة بوزنيكة بالمغرب الأقصى في ٢٧-٢٩ يناير ٢٠٠٦م المنتدى الاجتماعي المغاربي، وشاركت فيه وفود من: تونس، والجزائر، وموريتانيا، وأوروبا، وبلغ عدد المشاركين ٤٥٠ شخصاً^(٢). وتشكلت أيضاً في العالم العربي مجموعة من الجمعيات رفعت شعار مقاومة العولمة في تونس، والمغرب، ومصر، وسوريا...^(٣)، صحيح أن كثيراً من نشاط هذه المنتديات يهتمون قدر الإمكان الجمعيات الإسلامية، أو الشخصيات الدعوية المعروفة من

(١) بول، جون. وتوماس، جون. الثقافة العالمية في كيان سياسي عالمي: قرن التنظيم الدولي غير الحكومي. في فرانك جي لتشنر، وجون بولي. "العولمة الطوفان أم الإنقاذ؟"، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٤٦٣.

(٢) http://www.oumma.com/article.php3?id_article=1968.

(٣) نذكر من بين هذه الجمعيات: آناك المغرب. آناك تونس. المجموعة المصرية لمناهضة العولمة - أجيح. مناهضة العولمة في سوريا. جمعية كفاية المصرية. من أجل عالم بديل (مصر). وتملك كل هذه الجمعيات مواقع على شبكة الإنترنت، ويمكن الإطلاع على فعاليتها بالرجوع إلى الموقع التالي:

<http://www.maroc.attac.org>

المشاركة في اجتماعاتهم. ولعل ما يوضح هذا أكثر هو تأكيد المتدئ المغاربي على ترسيخ العلمانية في المجتمعات المغاربية، ورفض مناقشة ظاهرة الإسلاموفوبيا التي ظهرت في أوروبا - مع ذلك فإن هذه الممارسات الإقصائية لا يجب أن تكون مثبطاً للمشاركة في هذه المتديات، والإسهام في نشاطاتها وفعاليتها خاصة في القضايا الحساسة والمصيرية، كلما سنحت الفرصة لذلك.

- يمكن للمسلمين الغربيين أن يؤدوا عملاً كبيراً في أنسنة العولة، وخاصة أولئك الذين يقيمون في الولايات المتحدة الأمريكية. ما دامت العولة هي بالدرجة الأولى الأمركة التي لا تعلن عن هويتها الحقيقية، فلماذا لا يبحث هؤلاء في الثقافة الأمريكية نفسها - بتنوعها ومكوناتها الجديدة (الإسلام بالخصوص) - ما يصلح أن يكون بضاعة تضاف إلى الصادرات الأمريكية إلى العالم، وتخدم مصالح المسلمين في كل مكان؟

- ضرورة الاستفادة من ثغرات الصراع والتناقض داخل العالم الغربي. لقد تطرقنا إلى اختلاف وجهات النظر بين الأوروبيين، خاصة من المنتمين للثقافة اللاتينية، والأمريكيين في العديد من القضايا، وبينما كيف تقاوم كثير من الشخصيات والمنظمات الأوروبية الهيمنة الأمريكية بالتعاون مع الشعوب الأخرى من العالم. وقد شكلت الدينامكية الأوروبية قوة منافسة للولايات المتحدة، ويتوقع العديد من العلماء الأمريكيين - كبول كنيدي، وصمويل هنتينغتون - انتقال عامة العالم في القرن الواحد والعشرين من الولايات المتحدة الأمريكية إلى أوروبا الموحدة.

- يشارك الأوروبيون في فعاليات مختلف المنظمات والجمعيات المناهضة للعولة أو الباحثة عن البدائل لها، وهذا دليل على حيوية المجتمعات الأوروبية ووعيها الكبير بقضايا الإنسانية. إن واجبنا في العالم الإسلامي أن نستفيد من هذه التجارب، بالحضور في المنتديات العالمية، والديناميكية في الحركة، وتوظيف الوسائل الحديثة المختلفة لمقاومة هيمنة العولة، والدفاع عن قضايا عادلة ومصيرية تمس مستقبل الإنسانية.

الخاتمة

إن اهتمامنا بدراسة العولمة ليس انشغالاً بإشكاليات طرحها الفكر الغربي المعاصر، ولا نريد من خلالها أن ندخل في معارك فكرية عارمة تستغرق زمناً إلى أن تظهر إشكاليات جديدة، ولا نسعى للبحث عن إجابات للعولمة بالتوافق أو الرفض عما يطرحه الغرب بناءً على قراءة خاصة وانتقائية لتراثنا الثقافي والموروث الديني الإسلامي. إن هاجسنا هو أن نتفاعل مع واقعنا الذي يزداد تعقيداً، ويطرح قضايا متداخلة لا نجد لها حلولاً إجرائية إلا في إطار تعاون عالمي؛ ولذلك فإن كل الأفكار والمشاريع والحلول التي تظهر في أي قسم من الأرض تهمةً، وخاصة ونحن نسعى لكي يكون لنا إسهام في مقاومة مخاطر العولمة، ونشر القيم التي تشملها عالمية رسالة الإسلام.

تمثل الحركة المناهضة للعولمة تجربة حية وثرية في معارضة العولمة. والملفت للانتباه هو أن المعارضة القوية لهذه الظاهرة تنطلق من أوروبا، وتكتسب باستمرار أرضاً جديدة عبر العالم. وفي هذا دلالة واضحة على أن القلق من تداعيات العولمة ليس محصوراً فقط في الدول الإسلامية؛ فالخوف من هذه الظاهرة يمس -أيضاً- المجتمعات الغربية نفسها التي تعدّها صورة للأمركة، وتهديداً لمبدأ العالمية الذي تؤمن به الشعوب الأوروبية. ونحن -المستضعفين من العالم الإسلامي- نرحب بكل صوت يعلو من الغرب يفضح سياسات حكومته، ويدعو للعدالة الاجتماعية، وحق كل الشعوب والدول في المشاركة في تسيير شؤون العالم نحو مستقبل أفضل.

إن العديد من هذه المنظمات كثيراً ما تسيّرها وتكون من ورائها منظمات يسارية متطرفة فشلت من قبل في الوصول إلى الحكم وممارسة السياسة بطرق ديمقراطية؛ فهي تحاول صنع الحدث بالفوضى، وإثارة مشاعر المستضعفين في العالم الثالث، ولقد رأينا عناصر نشيطة في هذه المنظمات لم تحقق المبادئ التي تؤمن بها وتنادي بها عندما كانت في السلطة، أو كانت الأحزاب التي تنتمي لها تسيّر شؤون الحكم في بلادها. وهذه الملاحظة لا تقلل من قيمة هذه الإسهامات

ولو كانت في حدود ضيقة؛ لأنه يهمننا في هذه المرحلة من محاولة تشكيل وعي سليم بقضية العولمة - رصد النشاطات المختلفة لمعارضيهها، والإلمام بالجوانب النظرية التي طرحوها، ومعرفة طرق العمل وأساليب المقاومة التي استعملوها.

نريد أن ننبيه إلى أن الحركة المناهضة للعولمة دخلت مرحلة جديدة تتمثل في البحث عن البديل، وهذه فرصة ثمينة للمسلمين كي يسهموا في هذه العملية التاريخية من خلال ما يطرحونه من أفكار وقيم غير موجودة عند غيرهم. ونعترف بأن ذلك يحتاج إلى تضافر الجهود، وتعاون العلماء، ودعم المؤسسات.

وإننا نأمل في خاتمة هذه الورقة أن تؤدي المعركة الدائرة اليوم حول العولمة إلى ظهور وعي يساعد على تحسين الأوضاع في البلدان الإسلامية التي تعاني من الاستبداد السياسي، والتخلف الاقتصادي، والركود الثقافي.